المتغيّرات الدلالية في متشابه القرآن الكريم؛ دراسة في قصة موسى عليه السلام من الدعوة إلى يوم الزينة

Semantic Variables in the Similarities of the Holy Quran: A Study in the Story of Moses From the Report to the Day of Zina

جليلة خملي [1] /محمد الهادي عطوي [2] *
Djalila Khomli[1] / Mohamed Elhadi Attoui[2]
جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)
Badji Mokhtar University Annaba (Algeria)
khomlikhomli80@gmail.com[1] / attoui.med@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال: 2024/09/15	تاريخ القبول: 2024/10/24	تاريخ النشر: 2025/03/02

ملخص البحث

وردت قصة موسى - عليه السلام - في عدّة سور من القرآن الكريم بِبِنْياتٍ وتراكيب مختلفة نتجت عنها دلالات متغايرة، وهو أمر مثير للاهتمام؛ لأنّه يجعل المتلقي يتأمّل فيتساءل عن سبب اختلاف بنية التراكيب والعبارات، للبحث في أسرارها، ومحاولة فهمها، فهي شدّة ائتلاف في شدّة اختلاف.

تهدف الدراسة إلى إبراز بعض وجوه الفهم اللّغوي في متشابه القرآن الكريم، وبلاغة وكشف دلالاته وتنوّعها من خلال هذه القصّة المثيرة، والهيمنة على نواة متغيراتها الدلالية وأثرها في الفهم اللغوي.

وعليه نطرح التساؤلات الآتية:

- إذا كان المتشابه يتحدد ببعض العبارات المختلفة في بنية تراكيبه، فكيف يتجلّى أثره في الدلالة والفهم اللغوي؟
- وما المتغيرات الدلالية الكامنة في هذا الاختلاف في الحدث الواحد من أحداثها؟ وإلى أي مدى يمكن أن تُسهم دراسة هذه التغيّرات في فهم مقاصد القرآن الكريم؟

الكلمات المفاتيح : متغيّرات دلالية ؛ متشابه القرآن؛ بنية التراكيب ؛ فهم لغوي.

Abstract:

The story of Moses is mentioned in several surahs of the Holy Qur'an with different structures and compositions that result in different connotations,

* جليلة خملي khomlikhomli80@gmail.com

because it attracts the recipient and contemplates the reason for the difference in the buildings of the structures and expressions, in order to understand the meanings and connotations resulting from them, so that the intensity of a coalition is as strong as the difference.

The study aims to highlight some aspects of the linguistic understanding in the analogies of the Holy Qur'an the eloquence and diversity of its meanings through this exciting story, and to dominate the nucleus of its semantic variables and their impact on linguistic understanding.

Therefore, the following question is formulated:

- If the similarity is determined by the difference in some words in their syntactic structure, how does its effect appear in semantic and linguistic understanding?

- What are the semantic variables inherent in this difference in one of its events? And to what extent can studying these changes contribute to understanding the objectives of the Holy Qur'an?

Keywords: semantic variables; Quranic similarity; syntactic structure; linguistic understanding.

المقدمة :

قصة موسى من أهم القصص ورودا وتكرارا في القرآن الكريم، وهي تحمل الكثير من المعاني الهادفة والهادية إلى الإيمان والرشاد. وفي إطار هذه القصة يطرح هذا البحث إشكالا رئيسيا مفاده:

ما هي المتغيرات الدلالية الكامنة وراء اختلافات تراكيب متشابهات قصة سيدنا موسى عليه السلام في الحدث الواحد من أحداثها؟ وإلى أي مدى يمكن أن تُسهم دراسة هذه التغيّرات في فهم مقاصد القرآن الكريم؟

ويحاول البحث الوقوف على مختلف التنوعات الدلالية المتسقة مع اختلافات الألفاظ والتراكيب، رغم أن القصة واحدة والأحداث واحدة والآيات متشابهة في مختلف السور، مما يبرز جليا "قوة الاختلاف في شدة الائتلاف" التي لا تكاد تتحقق إلا في كلام العزيز الحكيم.

أولا: موضوع البحث (قصة موسى عليه السلام)

سنعتمد في هذه الدراسة أحداث القصة من التكليف والدعوة إلى يوم الزينة، لغاية منهجية، ولاستحالة دراسة القصة كاملة في هذا المقام القصير ، وسنعوّل على دراسة بنية التراكيب والمفردات لاستجلاء الدلالات من خلال متغيراتها في متشابه تراكيبها، وما تفيده تلك البنى المختلفة مع بنية المشابهة، والغاية من ذلك تقريب الفهم وتحصيله بفضل بناء التركيب في صورته المثيرة " شدّة ائتلاف في شدّة اختلاف" وفي سياقاتها التداولية.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «قصّة موسى - عليه السلام - يذكرها ويعيدها ويبديها ويسلّي بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ويقول للرسول عندما يناله أذى قريش، أنّ موسى قد أوذي بأكثر من ذلك فصبرا»[1]؛ فمن أهم أسباب التكرار هو وجود التشابه الكبير بين ظروف دعوتها وما لحقها من أذى، فضلا عمّا في تكرارها من دلالة على نصرة الله لأنبيائه؛ وذلك تسلية لقلب النبي -عليه الصلاة والسلام- وتثبيته ومن معه على دين الحق.

ولعل من أسباب تكرارها إطلاع الرسول-عليه الصلاة والسلام- على حقيقة اليهود الذين في المدينة أو الذين هم من سكّان الهجرة وتبيان حالهم له ليستعدّ لهم[2].

تعبّر قصة موسى -عليه السلام- عن علاقة الحاكم بالمحكوم؛ فتاريخ الحكم يشهد على تسلّط الحاكم وتظاهره بالألوهية والسلطة المطلقة، وليس لأحد أن يُعارضه؛ فطبيعة المستبد أن يتهم من يعارضه بالخيانة، وبأنّه عدوّ مُضلّ مبين، وهذه التّهم الموجّهة لموسى (ساحر، يريد أن يخرجكم من أرضكم) شبيهة للمعارضين في حكم بعض الأمم، وبمجيء الإسلام حددت طبيعة العلاقات على مر الأزمان والأماكن من بينها السياسية وفق نظم وتشريعات تقوم على مبدأ المساواة بين شرائح المجتمع، وأن يشعر الرعية برعاية الحاكم وعنايته لا بتجبره وغطرسته، ولنا في صحابة رسول الله الذين اتخذوه قدوة وساروا على نهجه خير مثال على علاقة الحاكم بالمحكوم؛ فقد كانوا يخرجون ليلا ليتفقدوا رعيتهم ويساعدوا العُجز منهم[3]، كما كان حكمهم يقوم على العدل والرفق واللطف لا على القسوة والعنف -عليهم رضوان الله-

ثانيا: البنيات التركيبية ومتغيراتها الدلالية في متشابهات قصة موسى -عليه السلام-

المتغيرات الدلالية ناتج المتغيّرات اللسانية؛ والتي تعني تلك التبدلات التي تطرأ على بنية اللّغة في أي مستوى من مستوياتها اللّغوية: الصوتي، الصرفي، التركيبي، والمعجمي، فتخرج بذلك الكلام أو الخطاب من هيئته الأولى إلى تشكلات لغوية اختيارية من قبل الباث؛ وبما أنّ المستوى الدلالي عنصر من عناصرها فإنّ المتغيّرات الدلالية جزء لا يتجزأ منها. والمتغيّرات الدلالية المقصودة في هذه الدراسة هي تلك التبدلات التي تطرأ على المستوى الدلالي للّغة، فتنتقل معانيه وتتبدل إلى معاني أخرى تُكتسب حال تركب الكلمات مع بعضها وفق سياق معين.

1. مشهد التمهيد للتكليف بالدعوة

وذكرت في ثلاث مواضع في القرآن الكريم في ثلاث سور مختلفة وهي: طه، النمل، القصص:

أ. العودة من مدين ورؤية النار

وهي ليست نارا ، وإنّما اعتقد موسى عليه السلام أنها نار، وقال المفسرون : النور.

قال تعالى: "**إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**". [طه:10]

وقال تعالى: "**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**". [النمل:7]

وقال تعالى:" **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** "[القصص: 29]

ففي سورة طه سبقتها (إذ رءا نارا) التي لم تُذكر في سورتي النمل والقصص؛ ذلك بداية للقصّة فلم يرد الحديث عنها مسبقا، قال عزّ وجلّ: (وهل أتاك حديث موسى)؛ وذلك تلطفا لحال النبي –صلى الله عليه وسلم-، وأستهلت القصّة في سورة طه بمشهد رؤيته للنّار، وحدث تكليفه للرسالة على خلاف سورة القصص التي فيها سرد لجوانب من طفولته وحياته قبل الدعوة؛ وكل تفصيل لجزئية معينة من القصّة يحمل بدلالاته المغايرة عبر وعظات.

جاء في مختار الصحاح: «آنَسَهُ بالمدّ أبصره»[4] ، أي أبصره بوضوح، «آنس من جانب الطور نارًا: أي رأى نارًا تضيء على بعد»[5] رؤيته للنّار دون أهله؛ لاستجلابه إلى المكان المقدّس، ، وقد كانت نارا غير عادية غلب على ظنه أنها نار وما هي بنار.

واتّفقت السور الثلاث على عبارة (آنستُ نارًا) بمعنى رأيتُ نارًا، أو أحسست نارًا، والنّار على البعد لا تحس إلاّ بالأبصار، غير أنّ لفظه آنس أعم من رأى ؛ فالإحساس يفيد الرؤية وغيرها بالحاسّة أمّا الإيناس فيفيد الأنس ويكون بما تراه العين، قال ابن كثير: «قال لأهله يبشّرهم:" إني ءانستُ نارًا"»[6] وقد أخبرهم بوجودها ليطمئنهم.

جاء في سورتي طه والقصص (لعلي ءاتيكم) وفي سورة النمل (سآتيكم) (لعلي+ آتيكم) و(س+ آتيكم)

لعل: حرف نصب مشبه بالفعل يحتمل عدّة معاني؛ ومن أولى معانيه أنّه يفيد التوقع والترجي للأمر المحبوب والإشفاق لما هو مكروه؛ فعلى سبيل المثال قوله عزّ وجلّ: «**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** [طه: 44] معناه اذهبا على رجائكما ذلك من فرعون[7]، في حين أن السين (سآتيكم) تدل على القطع في حدوث الفعل.

و(لعلي آتيكم) أفادت الترجي والأخرى أفادت اليقين، ولا غرابة في ذلك فالراجي إذا قوي رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة[8] .

بُنيت سورة طه على اللين والملاطفة لحال النّبي –صلى الله عليه وسلم-وأنّ الله لم يرد أن يشقيه ويتعبه بهذه الرسالة وكذلك حال موسى -عليه السلام - وما لحقه من مشقّة وتعب في مواجهته لأعظم طاغية، فجاءت السورة مطبوعة بطابع اللين والملاطفة فما يتناسب معه هو الرجاء، وفي القصص يغلب على القصّة طابع الخوف منذ ولادته في زمن القهر والاضطهاد وقتله للقبطي، وملازمة جو الخوف في كامل القصّة، أمّا المقام في " النمل" فهو مقام التثبت والتيقن والقطع في الأمر الناجم على الوثوق في النفس.

كان الترجي وعدم القطع في طه والقصص، أمّا في النمل فكان القطع فيها، وكلاً حسب سياق الآيات والجو العام الذي يتناسب مع السورة؛ فكيف يتناسب القطع في الأمر والتثبّت مع الخوف؛ فالخائف لا تدعه حالته يجزم بشيء.

ولفظة **(قبس)** تعني شعلة من نار تقبس من معظم النار ؛ أي أخذ قطعة من النار من معظمها أمّا **الشهاب**: فهو العود الذي فيه نار[9]؛ أي خشبة فيها نار ساطعة، **والجذوة**: هي الجمرة الملتهبة[10].

رأى موسى - عليه السلام - النّار من بعيد ولكن هو لا يعلم حجمها أو كيف هي ليحدّد بالضبط ما سيأخذ منها أو بماذا سيأتيهم.

ففي طه ذكر الاسم العام ولم يُحدّد المقبوس؛ هل هو جذوة أو شهاب، ولم يُبيّن نوعه، وفي النمل حدّده بالشهاب الساطع أمّا في القصص فقد ذكر الجذوة التي هي أكبر من القبس؛ ليستدفئ بها أهله، طبعاً يبقى السياق هو المحدّد الأساس لما يتناسب مع السورة؛ حيث تقدّم القبس في سورة طه وتأخّر في السورتين واختلف التعبير عنه في القصص (جذوة) وعُوّض بالمضاف (شهاب) في النمل ، واستقدام الشهاب من حيث الاستضاءة والدفء أفضل غير أنّ لكل موضع ما يناسبه من تعبيرات وألفاظ؛ فالشهاب العود الذي في رأسه نار يكون مقبوسا ولا يُختلس؛ وهذا دلالة على الثبات والقوة الذي طبع سورة النمل أمّا في موضع الخوف ذكر الجذوة[11]؛ الذي يتناسب ذكرها مع إيقاع مشهد الخوف ، أو أن يجد هاديًا يدله على الطريق فيجيئهم بخبر عنها، ففي ذلك دلالة على تيههم في ظلام الليل الحالك، وفي النمل " أو آتيكم " تكرّر فعل الإتيان تأكيدًا منه وثقة في النفس.

" **لعلكم تصطلون** " ذكرت في القصص والنمل ولم تأت في طه وتعني: تستدفئون، وفي زيادة هذه الجزئية دلالة أخرى؛ فبالإضافة إلى التيه الذي كانوا فيه، وإضاعتهم للطّريق؛ فإنّ العبارة تدلّ على أنّ الجوّ كان باردا، وكانوا بحاجة إلى تدفئة من هذا البرد الشديد.

ب. تكليم الله لموسى وإعلامه بالربوبية

قال تعالى: «**فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰ**" [طه: 11]

وفي سورة النمل: " **فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**"[النمل: 8]

وفي سورةالقصص: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"[القصص: 30]

عبر عن الوصول والقدوم بـ (أتاها) في كل من طه والقصص ،واختصت الآية في سورة النمل بفعل المجيء (فلمّا جاءها). وهما لفظتان متقاربتان ولهما معنى واحد، غير أنّ المجيء أعم؛ لأنّ الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد، وإنّ لم يكن منه الحصول، والمجيء يُقال باعتبار الحصول؛ والمجيء بعد الإتيان إتيان محقق.

ذكرت لفظة (أتاها) في طه والقصص؛ لأنّ فيها وصف لحال موسى، عليه السلام، وهو في طريقه إلى النار يمشي بتؤدة وترقب ليصل إلى مكان لا يعرفه، ولا يعرف ماذا سيجد فيه، وفي القصص زيادة في التفصيل .أمّا النمل فذكر فيها (المجيء) لتحقق وصوله إلى المكان؛ لأنّها تقوم على الإيجاز وتبيان الخبر من غير الاستطراد في الوصف أو التفصيل. ثمّ أخبره بألوهيته وربوبيته (يا **موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين**) كما أمره بعبادته وتوحيده وإقامة الصلاة التي هي عمود الدين و إدامتها وعدم الغفلة عليها، وفي القصص صوّر المكان بالضبط من جانب الطور الأيمن في المكان المبارك لتكليم الله لموسى (من الشجرة)، وزيادة أن في قوله: (أن يا موسى) التفسيرية؛ لأنّ المقام في القصص مقام بسط وتفصيل ولم يذكر ذلك في النمل لأنّ المقام فيها مقام إيجاز ومباشرة في الكلام وهو يدعوه أن يتنبّه لنداء ربّه (ربّ العالمين)؛ الذي يتصف بالربوبية المطلقة ، وفي النمل زيادة (أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين)؛لأنّ الموقف هنا موقف تعظيم لله سبحانه، كما جاء النّداء فيها مباشرة من غير أن، (إنّه أنا الله العزيز الحكيم) ذكر ضمير الشأن (إنّه) للدلالة على التعظيم الوارد في القصة وجاء بالاسمين (العزيز الحكيم) للزيادة في التعظيم الذي قبله، ومناسبة ثقل التكليف على موسى[12].

ج. البيّنـــات

ج.1. آية اليد

قال تعالى: " **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ**". [طه: 22]

وقال تعالى: "**أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**" [النمل: 12]

وقال تعالى: "**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ". [القصص: 32]

نستشفّ من الآيات بعض الفروق في التعبير بمفردات وتراكيب مغايرة وهي:

جاء الأمر في سورة "طه" بالفعل"اضْمُمْ" والضَّمُ: الجمع بين الشيئين فصاعدا، والإضامة جماعة من الناس أو من الكتب أو الريحان أو نحو ذلك، وأَسَد ضَمْضَم وضمام يضمُّ الشيء إلى نفسه[13] .

وفي القصص (**اضمم إليك جناحك من الرهب**)؛ وحكى أكثر أهل اللّغة أنّ المقصود بالجناح من أسفل العَضد إلى آخر الإبط[14]؛ بمعنى أنّ الله عزّ وجلّ أمره أن يجعل يدهُ اليمنى تحت عَضُدِهِ اليسرى ويكون بذلك قد ضمَّ جناحه إليه؛ أي أدخله.

أما "**السَّلْك**" والإدخال فلهما معنى واحد غير أنَّ السلك أعمّ من الإدخال؛ فالسلك: سلك يدلُّ على نفوذ الشيء في الشيء، يقال سلكت الطريق أسلكه.

أمّا إن قيل لك أُسلك طريق كذا للذهاب إليها، فهنا يتغيّر المعنى من عموم الدخول الى أخذ طريق معينة دون أخرى[15]، فطلب سلك اليد، إذن، يختلف بشيء من التخصيص عن إدخالها، كما جاء فعل إدخال اليد في عموم ذكر الآيات التسع الأخرى، فما ذكر في الآيات يتماشى وجوّها العام ومجريات أحداثها، فالإدخال أشقُّ من السلك وهذا ما يتناسب مع جوّ سورة النمل عامة التي يغلب عليها طابع القطع والقوّة، ولا يتناسب الإدخال مع الرفق واللين الغالب على سورة القصص، فناسبها السلك.

أمّا "**الجيب**" فمعناه موضع القطع من الدرع والقميص، وقد طُلِب من موسى عليه السلام إدخال يده، وقد أوضحت الآيات طريقة ذلك؛ بأن يضعها تحت إبطه؛ ليذهب عنه الخوف ويحس بالاطمئنان إذا أفزعه رؤيته للحيّة، وأيضا ليُخرج يده بعد ذلك من غير مرض لتكون آية أخرى من الآيات والبراهين التي يقدّمها لفرعون ومن معه لعلّهم يؤمنون بعد أن يلزمهم الحجّة.

(**إلى فرعون وقومه**)، (**إلى فرعون وملائه**) في سورة النمل ذكر القوم وفي سورة القصص ذكر الملأ؛ والمقصود بالملأ حاشية فرعون وخاصته من الملك وقد كان المقام مقام خوف، أمّا في مقام الثقة فقد كلّفة بتبليغ القوم فهي أوسع وتشمل عامّة النّاس وخاصتهم ، كلّف موسى –عليه السلام- بتبليغ رسالته لكافة فئات المجتمع غير أنّ السياق يختلف من سورة لأخرى، فذكر في كل سورة ملمح يتناسب معها.

ج.2. آية العصا

قال تعالى: "**فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَآ هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**". [الأعراف: 107]

وقال تعال: "**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ**". [طه: 20]

وقال تعالى: "**فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**". [الشعراء: 32]

وقال تعالى: "**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ** ". [النمل: 10]

وقال تعالى: "**وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ** ". [القصص: 31].

عصا موسى من بين الآيات التي أيّد الله بها موسى عليه السلام؛ ليقدّمها لفرعون وأتباعه كدليل وبرهان على صدق رسالته، وقد ذكرت بأوصاف متباينة في الآيات؛ اختلفت من موضع لآخر، فكانت ثعبانا وحيّة وجانًّا:

فالحية: إسم جنس يقع على الصغير والكبير، والذكر والأنثى[16]، فالموقف هنا أمام موسى ليتعرّف على الدليل، وليس المقصود إخافته، وتبيان قدرة الله عزّ وجلّ في بث الحياة لهذا الجماد (العصا) لتصبح تتحرّك بسرعة (حية تسعى).

وأمّا **الجان**: فهو ما يجمع بين وصفين هما: الصغر وسرعة الحركة[17]، شُبهت العصا بالجان لله لاهتزازها وسرعة حركتها؛ ومعلوم أنّ الإنسان يخاف الجان ويفزع منه فاللفظة هنا كانت أدق وأنسب فالحية يمكن الإمساك بها وقتلها، وغرض التشبيه إذا ذكر إدراك صلة القرابة بين المشبه والمشبه به في وقعها على النفس، وكأن الله تعالى كان رحيما بموسى فلم يشأ أن يخيفه، بل أراه الآية الكبرى.

وأمّا "**الثعبان**" فما جمع بين وصفين: الذكورة والعظم والكبر[18]، وقد ذُكر مرتين في القرآن الكريم وذلك عندما ألقي أمام فرعون؛ فالموقف هنا يستدعي أن يكون الدليل الذي جاء به موسى ساطعًا ومخيفا لفرعون ليُذعن للحق ويؤمن، والفرق بين الحيّة والثعبان أنَّ الحيّة عامَّة تشمل الصغيرة والكبيرة فالثعبان حيّة والجان حيّة، الثعبان حية طويلة ضخمة تتسم بالذكورة، واستعملت لفظة (ثعبان مبين) لإخافة فرعون، فلو ذكر الجان لما أثّر فيه وأخافهُ؛ لأنه رفقة حاشيته وليس بمفرده، ومن ألطاف الله على موسى أنّه لم يُره الثعبان بادئ الأمر لأنّه أكبر وأفزع.

ج.3. موقف موسى من العصا

خاف موسى من التحول الحاصل في عصاه التي ألفها جامدة لا تتحرك وهرب مسرعا فناداه ربه **"إِنَّهُ لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ"**. [النمل:10].

"يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ". [القصص:31].

في الحالين خوف؛ لكن الخوف في النمل يختلف عن حالة الخوف في القصص؛ ففي النمل لم يُذكر الخوف إلاّ في هذه الآية لأنّه في مقام قوة، أمّا في القصص فطابع الخوف يغلب عليها منذ بدايتها فهو هنا يحتاج إلى من يأمنه ويطمئنه[19]؛ وبالتالي فإنّ كل لفظة وضعت في مكانها المناسب لها حيث جاءت الألفاظ معبّرة ومراعية لحالته النفسية.

د. التكليف

قال تعالى:" **اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي 0 اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى** ". [طه:42-43].

قال تعالى: «**فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ**". [طه :47].

قال تعالى: «**فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ 0 فأتيا فِرْعَوْنَ فَقُوْلَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ**". [الشعراء:15-16]

جاء تكليف موسى في الآيات صريحا بأن يذهب هو وأخوه هارون بالحجج إلى فرعون الذي تمرد على الله وعصاه، وفي الشعراء زيادة (إنّا معكم مستمعون) لطمأنة موسى وأخوه قال (إنّا معكم) يريد ذاته سبحانه، (معكم) حُملت على الجمع بدل التثنية (معكما) كما في سورة طه (إنّني معكما أسمع وأرى) الآية 47، وقد جاءت بصيغة الجمع لأنّ الاثنين جماعة، أو تعظيما لشأنهما، أو يجوز أن يكون المراد: هما ومن أُرسل إليهم ؛ أي بني إسرائيل؛ فقد يكون المقصود بذلك أنّي معكما أسمعكما وأسمع ما يجيبكما بني إسرائيل للدلالة على رعايته ونصرته لهما.

(إنّا رسول ربّ العالمين) ذكرت لفظة (رسول) بصيغة المفرد، وتأتي في اللّغة للمفرد والمثنى والجمع من نحو: خصم، وضيف استعملتا للجمع والمفرد في القرآن الكريم[20]، في الشعراء (إنّا رسول) وفي طه (إنّا رسولا) وفي الزخرف (فقال إنّي رسول رب العالمين) الآية 46؛ وقد وردت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم يختلف كل سياق منها عن الآخر ؛ ففي الشعراء أغلب الكلام بُني على المفرد لا على التثنية من نحو ما جاء على لسان موسى (قال رب إنّي أخاف أن يكذبون) ؛ والآيات التي تلتها ذكر هارون في آية أو آيتين ثم عاد الحديث للمفرد إلى موسى؛ فالسّياق العام للقصة في الشعراء مبني على المفرد، و جواز ايراد المفرد (رسول) للتثنية على أنّ أصل الرسول مصدر، وتذكر التثنية في طه اعتدادا بالوصفية العارضة بعيدا عن الأصل[21]، كما يمكن أن يكون المقصود أن كل واحد منّا رسول أو حمل لفظة رسول بمعنى رسالة؛ أي أنّنا ذووا رسالة من رب العالمين[22]، ويضاف إليها وجه آخرو هو الأصل في الرسالة أن يكون موسى هو الرسول أن هارون وزير ومعين[23]، أمّا في طه فبُني الحديث فيها على التثنية واستمر عليها قال تعالى: (اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا في ذكري) الآية 42، فالصّيغ إذن اختلفت حسب السياق الذي وردت فيه القصة فلمّا بنيت الآيات على التثنية جاءت المفردة على (رسولا)، أمّا في الزخرف فلم يرد ذكر هارون مع موسى لذلك جاءت (إنّي رسول) بالمفرد.

3. مشهد التبليغ ومحاججة فرعون لموسى وتحدّيه

جاء موسى لإبلاغ فرعون وأتباعه بأنّه مرسل من ربّه، ويدعوهم لتوحيد الله جلّ وعلى ونبذ الشرك الذي هم عليه؛ لكنّ فرعون استكبر وأدبر، وجادل موسى وحاجّه وتحدّاه:

"أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فلنأتيك بِسِحْرٍ مِثْلِهِ" [طه:57]

"قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ". [الأعراف:109-112]

"فَقَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ، قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ". [الشعراء:34-37]

تُنبئ الآيات أنّ موسى قد أرى فرعون دلائل نبوّته ليبيّن له صدق دعوته وكعادة الطغاة تكبّر فرعون وتجبر واتهمه بالسحر وبأنّه يريد أن يخرجهم من أرضهم؛ بمعنى أنّك جئت لتوهم النّاس وتوجب عليهم

اتباعك حتى تغلب على أرضهم[24]، والاستفهام هنا إنكاري أراد به استقباح واقع قوله وإنكاره ، وقد بلغ بهم تكذيبهم إلى تحديه، (فلناتينّك بسحر مثله) أي لنعارضنّك ولنبيّنّ للناس أنّ ما جئت به ليس من عند الله[25]، والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبقه، واللام واقعة جواب قسم محذوف وكأنّ قولهم: فوالله لناتينك بسحر مثل سحرك .

والموقف نفسه في الشعراء والأعراف غير أنّ دلالات العبارات تختلف بحسب السياق العام للقصة حيث اتسمت في سورة الشعراء بالتفصيل في السرد، وقوّة المواجهة والتّحدي؛ وقد جاءت كلّ ألفاظها وعباراتها لتأدية هذا الغرض. و بُنيتفي الأعراف على الاختصار، فلا تتضح فيها قوّة المواجهة كما في الشعراء.

(قال الملأ من قوم فرعون) الأشراف منهم وهم أهل مشورته ورؤساء دولته[26]، القائلون في سورة الأعراف هم ملأ فرعون؛ لأنّ فرعون كان مترفعا بغطرسة ملكه عن الكلام ، أمّا في الشعراء فأنساه الموقف غطرسته وتحدّث مستعينا بملئه وزاد لفظة (بسحره) عن الأعراف لمناسبة مقام التفصيل الذي طبع القصّة، وللتأكيد على أنّ ما جاء به سحر لا غير[27]، كما اتهموه بأنّه (لساحر عليم) أي مبالغ في علم السحر وماهر به، وتشاوروا فيما بينهم (فماذا تأمرون) أي تشيرون في الأمر، و(ماذا) في محل نصب على أنه مفعول لتأمرون بحذف الجار؛ أي بأي شيء تأمرون[28]، وفي الشعراء طلب فرعون مشورة ملئه وهنا في هذا الموضع كان الكلام لفرعون، القائل في الأعراف الملأ والقائل في الشعراء فرعون ولا تناقض في ذلك فلعلّه قاله فرعون ابتداء في الشعراء وقد سبق فيها مخاطبته لموسى (ألم نربّك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) فناسب ذلك كلام فرعون مع الملأ بقصد تنفيرهم عن متابعة موسى، ولم يرد في الأعراف مثل ذلك فقاله الملأ بعد ذلك، بمعنى أنهم أعادوا كلامه و لا غرابة في ذلك فالملك الطاغية عندما رأى عظم الأمر الذي جاء به موسى وشاهد الآيات طلب مشورة أتباعه للتصدّي له؛ وقد كانوا في موقف حوار وتشاور فقد قاله مرة وردّدوه مرة أخرى فورد ذكرها حسب ما يقتضيه السياق.

(أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين) بعدما تشاوروا تبيّن لهم أن يؤخروا[29] أمر موسى وأخيه ولا يتعجلوا ويرسلوا في طلب السحرة، وجاء في الأعراف أرسل لأنّ فعل الإرسال ومشتقاته تكرر فيها أكثر من الشعراء فناسب وورود الإرسال في الأعراف دون الشعراء، أضف إلى ذلك أنّ السياق في الشعراء يقتضي ذكر البعث؛ لأنّه يشتمل إلى جانب معنى الإرسال معنى آخر وهو الإثارة؛ فقد جاء في **لسان العرب**: "بعث له معنيان: أحدهما الإرسال ...والبعث إثارة بارك أو قاعد[30]؛ فالبعث قد يكون معناه ارسال وقد يكون الانهاض؛ لأن المقام في الشعراء التي انطبعت بطابع القوة والتحدي ،فيه زيادة في التحدي وقوّة المواجهة، ولم يكتفوا بالإرسال لأنّ غرضهم كان إثارة النّاس وتهييجهم على موسى، وهذا المعنى لا تؤديه لفظة (أرسل) فلكل مقام ما يناسبه من ألفاظ وعبارات.

(في المدائن حاشرين) وأراد بذلك أن يرسلوا رجالا في مطلق مدائن صعيد مصر لجمع السحرة . وجلبهم. وجاء في الأعراف(ساحر) وفي الشعراء(سحّار)؛ ولاختلاف الصيغتين عند المفسرين أوجه؛ منهم من يجعلها مترادفتين ومنهم من يُفرّق بينهما نذكر من بينها:

ردّ قوم فرعون على قوله (إنّ هذا لساحر عليم) بصيغة المبالغة (سحّار)؛ ليطمئنوه ويسكنوا بعض قلقه[31]، فأجابوه بما هو أبلغ رعاية لمراده لأنّهم أتباعه، بخلاف التي في الأعراف فإنّ ذلك جواب قولهم؛ فتناسب اللفظان وذكر صيغة المبالغة (سحّار) في الشعراء لتقدّم لفظة (بسحره) في القول، ولم ترد في الأعراف فناسبها لفظ (ساحر)، وهناك من فرّق بين الصيغتين (ساحر) و(سحّار)؛ لأنّ لفظة الساحر تُطلق على من سحر وقتا دون وقت، كما قيل (الساحر) المبتدئ في صناعة السحر، أمّا (السحّار) فهو المتمرس الذي يتعلم منه ذلك[32]، وهذا تفريق عام بين الصيغتين.

ومنهم من يُرادف صيغة (السحّار) على (الساحر) ويجعلها مترادفتين في الاستعمال اللّغوي؛ لأنّ لفظة (سحّار) جاءت للنسب مثل نجّار بنّاء؛ ولا يُقال لمن اشتغل بالنجارة مرة واحدة أنّه نجار ولذلك فهي دلالة على اتقانه الصنعة والمهنة؛ أي أنه متقن لصنعة السحر والصيغة نسبة إليها[33] .

4. مشهد يوم الزينة

أ. عرض السحرة على فرعون

بعد انتهاء مشاورات فرعون والسحرة واتفاقهم مع موسى على يوم الزينة للمبارزة بدأ استعدادهم وحوارهم لفرعون واشتراطهم عليه الجائزة والمال عند الغلبة.

- **"وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا "**. [الأعراف:113]

الجواب: "قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ". [الأعراف:114]

- **"فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا "** [الشعراء:41]

الجواب "قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ". [الشعراء:42]

تصوّر الآيات قدوم السحرة من شتى أقاليم بلاد مصر لفرعون واشتراطهم عليه الجزاء عند غلبة موسى وأخيه؛ ففي الأعراف أرادوا التأكّد من ذلك (إن لنا لأجرا) أجابهم بأنّه سيثيبهم ويعطيهم جزيل العطاء و يجعلهم من جلسائه المقربين، وفي السورة لم يظهر المقول له (قالوا) وحذفت (فرعون) لأنّ المقام مقام إيجاز اقتضى ذلك، أمّا في الشعراء أظهر المقول له(قالوا لفرعون) ؛ أي أنّهم وجّهوا الكلام لفرعون، وجاءت الاستفهام (أإنّ لنا لأجرا) ؛لأنّ المقام في الشعراء مقام سرد و تفصيل وهمزة الاستفهام للدلالة على قوّة الاستفهام والتصريح به وفي هذا الشرط إصرار السحرة على مواجهة موسى عليه السلام وكأنهم موقنون بالنصر وإحباط ما أعدّ لهم من السحر كما كانوا يظنون، بل هو دليل ولائهم لفرعون، وإرادة الغلبة.

واختلف التعبيران في الأعراف عن التعبيرين في الشعراء بحسب السياق، ولتفنن إعادة مقالتهم[34]، ولمّا كان كلامهم يتضمّن معنى الشرط (إنّ لنا لأجرا) أي أنّه له دلالة جزاء الشرط جاء ردّ فرعون بقوله (نعم) للتقرير وأردفها بجملة معطوفة لزيادة التقرير وفي الشعراء دخلت (إذا) قارة في الجواب والجزاء[35] ففرعون في موقف حرج بعد أن رأى الآيات؛ فهو بحاجة لعون السحرة وبذلك يتوجب عليه اقناعهم ووعدهم وتأكيد وعده، ويتضح ذلك من خلال جوابه حيث استخدم حرف الإيجاب نعم+جملة اسمية مؤكدة ب: (إنّ) وتحلية الخبر باللام وبعطف البيان (إنّكم لمن المقربين) على الجملة المقدّرة إنّ لكم لأجرا كونكم أنتم الغالبين، فتقدير الكلام إن كنتم غالبين إذًا إنكم من المقربين ، ولم يرد ذلك في سورة الأعراف؛ ذلك دليل على أنّه قالها مرة دون أخرى، وكرر لهم الإجابة والوعد وذلك تأكيد آخر[36]؛ أي أنّ فرعون كرر وعده باختلاف التعبيرين للتأكيد عليه. ولا تناقض في اختلاف التعبيرين فأن توجز في الأحداث أو أن تفصل ليس تناقضا، والقرآن يستعمل الإجمال مرة والتفصيل مرة أخرى في القصة بحسب المواقف والسياقات كما أنّ القصص القرآني لا يخلو من ذكر الفائدة عند إعادة التعبير في كلّ موضع؛ وذلك تجديدا لنشاط السامع .

ب. مشهد يوم الزينة (يوم الحق)

واجه موسى -عليه السلام- أمهر السحرة الذين حضروا بدعوة فرعون لإحباط ما جاء به موسى طمعا في الجائزة والقربى في محشر ضحى يوم الزينة المعلوم:

-"**قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ**" [الشعراء: 43]، [يونس:80]

-"**قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**". [الأعراف:115]

-"**قَالُواْ يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ**". [طه:65]

الجواب:

-"**قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ النَّاسِ**". [الأعراف:116]

-"**قَالَ بَلْ أَلْقُواْ**". [طه:66]

-"**وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**". [الأعراف:117]

-"**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ**". [طه:69]

تُخبرنا الآيات عن الحوار الذي دار بين موسى والسحرة، جاء في الشعراء ويونس (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) بمعنى: ألقوا ما في أيديكم، ولم يُقيّد ذلك بشرط؛ لأنّه كان متأكّدا من بطلان ما جاؤوا به لمعارضة الحق[37]، غير مكترث لا بكثرتهم ولا بعلمهم[38]، فقد طلب منهم موسى أن يلقوا كل ما بحوزتهم من حبال وعصي غير آبه بسحرهم ولا مبال بهم، وفي كلامه -عليه السلام - استخفاف بما جاؤوا به وبما سيلقونه؛ لأنّه عبّر عنه بصيغة العموم، كل ما جمعتموه وما استطعتم القاؤه ، فافعلوا، وقد جاء القول هنا مفصولا بطريقة الحكاية من غير محاورات؛ لأنّه كان المقصود بالمحاورة إذ هم حضروا لأجله . (**قال لهم موسى**) فأظهر اسم موسى الذي

أضمره في طه والأعراف؛ لأنّه جواب لخطابهم إيّاه باسمه عند التخيير، فالمقام فيها مقام إضمار، أمّا في الشعراء ويونس فليس فيه نداء لموسى من قبل السحرة وتخييرهم له . (قالوا) استئناف بياني كنظائره؛ أي قال السحرة لموسى، وقد وقعت في طريقة المحاورة بينهم وبين فرعون وموسى، و (إمّا) حرف يدلّ على الترديد بين شيئين أو أشياء؛ أي فاختر أنت أحد الأمرين ، ومن بين الأسباب التي جعلت السحرة يخيّرون موسى في الإلقاء هو ثقتهم في أنفسهم وارهابهم له . وذهب بعض المفسرين إلى أنّ تخييرهم لموسى كان يُنبئ برغبتهم في البدء، كما دلّ على رغبتهم أيضا تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل (نحن) وتوكيد الضمير المستتر، وفي طه لفظة (أوّل) تدل على رغبتهم في أخذ الأوّلية ، فقد صرّحوا برغبتهم في أخذ أولية الالقاء في طه فجاءت لفظة (أوّل) مكان (نحن) وهذا التغاير اللفظي ليس فيه اخلال بالمعنى بل يزيد في تفنّن الكلام حسب رأي المفسرين الذي يصل إلى حد الإعجاز؛ وذلك لعسر تأدية دقائق المعنى مكررة بألفاظ مختلفة، وقد أكّد الضمير المتصل هنا بالضمير المنفصل نحن على رغبتهم في أوّلية الإلقاء المصرّح به في سورة طه[39].

وجاء **جواب** موسى وردّه على تخييرهم له بقوله (قال ألقوا) أي ألقوا أنتم أوّلا، وأراد من ذلك أن يرى النّاس ما صنعوه من سحر فإذا فزعوا منه جاءهم الحق ، ولهذا قال (فلمّا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم) من تخييلهم ؛ أي أنّهم خافوا من حركات العصي والحبال؛ لأنّهم جاؤوا بسحر عظيم، وفي طه (قال بل ألقوا)، ولعلّه نطق أوّلا بل ألقوا وأعاد بعدها كلمة ألقوا وحدها لتأكيد رغبته، وتأكيد عدم مبالاته[40] بما سيفعلون، وقيل أمرهم بالإلقاء من أجل أن يبيّن للنّاس كذبهم وتمويههم[41] .

(**وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك**) أوحى الله إلى موسى أن يلقي عصاه فقد جاء دورها؛ فذكر في الأعراف أمر الإلقاء الذي أمره الله به وكذلك في طه، وفي الشعراء ورد فعل الإلقاء وحذف الأمر؛ أي حذف في كل سورة ما أثبت مقابله في الأخرى من قبيل الاحتباك في السور والإيجاز المؤدي للمعاني المتعدّدة بأكثر العبارات اختصارا، قال في الأعراف (عصاك) وفي طه (ما في يمينك) لم يعبّر عنها حقيقة هنا كما في الأعراف؛ ولم يقل ألق عصاك فلعلّ ذلك لتصغير أمر العصا إلى العود الصغير الذي في يمينك سيلتقم بقدرة الله كل أعمالهم مهما بدت عظيمة ، ويمكن أن يكون الأمر لتعظيم وتفخيم العصا؛ أي لا تهتم بما يجرمون لأنّ ما بحوزتك أعظم من كلّ ذلك؛ فقد يجمع اللفظ اليسير معاني كثيرة ، كما جائز أن يكون قد عبّر عن العصا ب (ما) الموصولة ليذكره بيوم التكليم (وما تلك بيمينك يا موسى) فيبعث ذلك في نفسه الاطمئنان في أنّها عائدة إلى حالتها الأولى كما في ذلك اليوم ولذلك لم يقل له :ألق عصاك[42] (**تلقف ما يأفكون**) جاء في **لسان العرب**: اللقف: سرعة الأخذ لما يرمى إليك باليد أو باللسان.....والتلقّف: الابتلاع"[43]، ما يأفكون: أي ما يكذبون؛ لأنّهم جاؤوا بحبال وجعلوا فيها زئبق حتى تتحرّك[44] الواحد تلو الآخر فابتلعت عصا موسى و معجزته سحر وأكاذيب السحرة.

ج. موقف موسى

لمّا رأى السّحرة معجزة موسى عليه السلام كانت ردّة فعلهم:

- "وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ". [الأعراف: 120]
- "فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ". [طه: 70]

(**وألقي السحرة ساجدين**) معطوفة على ما قبلها فغلبوا وانقلبوا وهو في حيز فاء التعقيب بمعنى أنّ كل ذلك وقع عقب تلقف عصا موسى لحبال وعصي السحرة. فسجود السحرة متأخر عن مصيرهم صاغرين بزمن قليل، فلمّا رأوا آيات موسى -عليه السلام- علموا أنّ ما جاء به خارج عن نطاق السحر الذي يقومون به، وعلموا أنّه تأييد من الله لنبيّه فسجدوا؛ لذلك جيء بالاسم الظاهر (السحرة) دون الضمير لئلاّ يلتبس بالضمير الذي قبله ويشمل الحضور[45]، وفي الشعراء (فألقي السحرة ساجدين) بالترتيب والتعقيب وليس هناك فاصل زمني كبير بين اللقف والسجود، وهذا دلالة على قوّة المشهد الذي فيه قوّة للتّحدي والمواجهة، وأحقية النصر فناسبها هذا التعبير وفي الأعراف جاءت الواو ولم يُذكر كم من الزمن سار بين التلقف والسجود[46] ؛ وهذا اختيار رباني عجيب للحروف لمناسبتها دلالات المشاهد والأحداث. و(ألقي) فعل ماضي مبني للمجهول والسحرة نائب الفاعل وساجدين حال؛ والسحرة قاموا بالسجود ولكنّه بني للمجهول لغرضين هما: المبالغة في وصف سرعة خرورهم سجدا لقوّة البرهان وكأنّه هناك من ألقاهم، ولم يخرّوا بأنفسهم، وبيان عظم ما جاء به نبي الله موسى فكأنّهم عندما رأوها أجبروا على السجود[47] .

ح. موقف السحرة

-"قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ". [الأعراف: 123،124]

-"قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ". [الشعراء: 49]

-"قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ". [طه:71]

في الأعراف (**قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم**) إنكار من فرعون على السحرة[48]، وفي طه (قال **آمنتم له قبل أن آذن لكم**) استأنف الكلام فيها ب (قال) وأضمر اسمه هنا ولم يذكره كما في الأعراف؛ لأنّ المقصود من إرسال موسى إلى فرعون، كما أنّ غرض السور أو سياقها العام الرفق بالمدعويين والحلم عنهم ، وغير مؤهّل ذكر اسم فرعون هنا في هذا المقام ، وجاء في الأعراف والشعراء (آمنتم به) وفي طه (له) أي آمنتم بالله مصدقين أومتّبعين لموسى[49]، وانقذتم له؛ فالضمير في (به) يعود على الله وفي (له) يعود على موسى ففي الشعراء بدا واضحا غضب فرعون لتصديقهم لموسى فذكره في الشعراء ولم يذكره في الأعراف، قال في الأعراف (**إنّ هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها**) بمعنى مواطأة جرت بينكم في مصر[50]، وقد يكون قول فرعون من أجل التمويه والتضليل ليصرف النّاس عن اتباع السحرة أنّه لا يقصد حقيقة الاستفهام ولا حقيقة

الإخبار لأنّهم صرحوا بذلك (رب موسى وهارون)[51]، وقال في الشعراء وطه **(إنّه لكبيركم الذي علّمكم السحر)** ولم يأت ذلك في الأعراف؛ لأنّ في السورتين كان الكلام على موسى وفي الأعراف الكلام على الله، فقد قصد موسى[52]، (فسوف تعلمون) تهديد ، وفي الشعراء (فلسوف تعلمون) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام لتوكيد التهديد[53] ، ويكون فرعون بذلك قد انتقل من التضليل والتّمويه إلى التهديد لأنّه في شدة غضبه، وخشية أن ينقلب عليه قومه ويتبعوا السحرة.

ورد في الأعراف **(لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثمّ لأصلبنكم أجمعين)** أي من كل يد ورجل من خلاف؛ فإذا قطعت اليد اليمنى قطعت الرجل اليسرى، وقد عبّر عنها بالظرف تمكينهم من المصلوب في جذوع النخل تبشيعا لقتلهم ليكونوا عبرة (البقاعي، دون سنة، ص 312)، وتعدية فعل الصلب ب (في) بدل (على)؛ لأنّ الصلب يكون فوق الجذع لا بداخله للدلالة على أنّه صلب متمكّن يشبه حصول المظروف في الظرف ، وجاءت (ثمّ) للتراخي أعطاهم مهلة أمّا في الشعراء لم تذكر (لأقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنكم أجمعين) أي لم يذكر المهلة لشدّة غضبه. إلاّ أن ذلك لم يثن السحرة الذين أضحوا كافرين وأمسوا أوّل المسلمين صابرين محتسبين أمرهم لله تعالى، فكان إيمانهم دليل صدق موسى عليه السلام، وقوّة حجته البالغة.

الخاتمة

بعد هذه المعالجة اللسانية في البنية اللغوية لمتغيراتها المتفاعلة والمتعلّقة بالمعطيات الدلالية في درس بعض مشاهد قصة موسى عليه السلام ننتهي إلى جملة من النتائج ، نذكر أهمها:

- يعدّ المتشابه في قصة موسى نمطا من أنماط التعدّد التركيب والدلالي ، وشكلا من أشكال التوسع في اللغة والدلالة.
- البنيات التركيبية هي شدّة ائتلاف في شدّة اختلاف، وهو خادن للفظ والمعنى جميعا.
- المتشابه في القصة نمط إعجازي واستدلالي ودليل على التنوع الأسلوبي لخدمة المعاني والدلالات.
- توافق وانسجام البنية العامة للقصّة مع بنيتها التعبيرية.
- على الرغم من توزّع المتشابهات في سور مختلفة من القرآن الكريم إلاّ أنها تثبت درجة الانسجام والاتساق في تسلسل أحداث القصة ومشاهدها المدروسة.

ومع ذلك تبقى مثل هذه الدراسات جديرة بالتناول والدراسة لقدرتها على كشف معطيات دلالية لها أثرها الواضح في تفسير القرآن ووجوهه الإعجازية، وارتباطها بعلوم القرآن كالتفسير والقراءات، والوقف والابتداء التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدلالة والفهم.

هوامش:

[1]- جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، (2002)، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الأولى، الرياض السعودية - دار ابن حزم، الجزء 1، ص 152.

[2]- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، (1983)، التعريفات. بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، ص 93.

[3]- محمد بن عثيمين، (دون تاريخ)، فوائد قوله تعالى: يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم، موقع الفتوى، (تاريخ آخر زيارة: 2024/02/28)، على الرابط: https://al-fatawa.com/fatwa/57710

[4]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (1999). مختار الصحاح، بيروت وصيدا لبنان - المكتبة العصرية والدار النموذجية للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، الجزء 5، ص 21.

[5]- عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، (2000)، تفسير القرآن العظيم، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الجزء 5، ص 276.

[6]- عبد الحق بن عطية، (2002)، المحرز الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، الجزء 5، ص 276.

[7]- بدر الدين المرادي، (1992)، الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ص 113.

[8]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (2006)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، الجزء 2، ص 143.

[9]- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجزء 1، ص 510.

[10]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، (2005)، القاموس المحيط، بيروت لبنان - مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، الجزء 4، ص 311.

[11]- فاضل السامرائي، عرض وقفة أسرار بلاغية، على الرابط: https://tadars.com/tdbr/eloquence/51899

[12]- المرجع نفسه.

[13]- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (2009)، مفردات ألفاظ القرآن، حلب سوريا - الدار الشامية، الطبعة الرابعة، ص 152.

[14]- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، (1409 هـ)، معاني القرآن، مكة المكرمة السعودية - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، الجزء 5، ص 178.

[15]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (1392 هـ)، مقاييس اللغة، حلب سوريا - مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ص 490.

[16]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء 2، ص 574.

[17]- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، معاني القرآن، الجزء 5، ص 60.

[18]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (1422 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة مصر - دار هجر، الطبعة الأولى، الجزء 1، ص 596.

[19]- فاضل السامرائي، عرض وقفة أسرار بلاغية، على الرابط: https://tadars.com/tdbr/eloquence/5189

[20]- المرجع نفسه.

[21]- محمد الأمين الشنقيطي، (2022)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الرياض السعودية - دار ابن حزم، الجزء 4، ص 17.

[22]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء 13، ص 90.

[23]- محمد بن عثيمين، (دون تاريخ)، تفسير ابن عثيمين، موقع الباحث القرآني، (تاريخ آخر زيارة: 2023/12/29)، على الرابط: https://tafsir.app/ibn-uthaymeen/26/16.

[24]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء 11، ص 130.

[25]- أبو المعالي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الجزء 9، ص 21..

[26]- المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص 21..

[27]- فاضل السامرائي، عرض وقفة أسرار بلاغية، على الرابط: https://tadars.com/tdbr/eloquence/5189

[28]- أبو المعالي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الجزء 9، ص 21..

[29]- المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص 21..

[30]- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجزء 2، ص 108.

[31]- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الجزء 2، ص 562.

[32]- أبو المعالي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الجزء 9، ص 22.

[33]- محمد الطاهر بن عاشور، (1984)، التحرير والتنوير، تونس - الدار التونسية للنشر، الجزء 20، ص 124.

[34]- المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص 126..

[35]- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الجزء 2، ص 562.

[36]- محمد رشيد القلموني، (1990)، تفسير المنار، القاهرة مصر - الهيئة العامة المصرية للكتاب، الجزء 9، ص 56.

[37]- عبد الرحمن السعدي، (2000)، تفسير السعدي، بيروت لبنان - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، الجزء 5، ص 124.

[38]- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (2006)، نظم الدرر في تناسب الأيات والسور، القاهرة مصر - دار الكتاب الإسلامي، الجزء 14، ص 32.

[39]- محمد رشيد القلموني، (1990)، تفسير المنار، الجزء 9، ص 56.

[40]- أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، (2000)، مفاتيح الغيب في التفسير الكبير، بيروت لبنان - دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، الجزء 14، ص 165.

[41]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء 7، ص 233.
[42]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 17، ص 259.
[43]- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجزء 13، ص 224.
[44]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء 7، ص 233.
[45]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 10، ص 52.
[46]- فاضل السامرائي، عرض وقفة أسرار بلاغية، على الرابط: https://tadars.com/tdbr/eloquence/5189
[47]- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الجزء 4، ص 63.
[48]- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء 7، ص 233.
[49]- - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الأيات والسور، الجزء 12، ص 312
[50]- عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء 7، ص 132.
[51]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، الجزء 3، ص 266.
[52]- - فاضل السامرائي، عرض وقفة أسرار بلاغية، على الرابط: https://tadars.com/tdbr/eloquence/5189
[53]- محمد أبوزهرة، (2007)، زهرة التفاسير، بيروت لبنان - دار الفكر العربي، الجزء 10، ص 537.

قائمة المراجع

1- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (1988)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت لبنان - دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى.
2- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (1392 هـ)، مقاييس اللغة، حلب سوريا - مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.
3- أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، (2009)، مفردات ألفاظ القرآن، حلب سوريا - الدار الشامية، الطبعة الرابعة.
4- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (2006)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
5- أبو المعالي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (1415 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
6- أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، (1409 هـ)، معاني القرآن، مكة المكرمة السعودية - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.
7- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (1422 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، القاهرة مصر - دار هجر، الطبعة الأولى.
8- أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، (2000)، مفاتيح الغيب في التفسير الكبير، بيروت لبنان - دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.

9- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (2006)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت لبنان - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
10- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (2000)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، بيروت لبنان - دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.
11- بدر الدين المرادي، (1992)، الجنى الداني في حروف المعاني، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،
12- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (2006)، نظم الدرر في تناسب الأيات والسور، القاهرة مصر - دار الكتاب الإسلامي.
13- بيير جيرو، (2017). علم الدلالة، دمشق سوريا - دار نينوى للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.
14- جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، 2002، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الأولى، الرياض السعودية - دار ابن حزم.
15- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (1968)، لسان العرب، بيروت لبنان - دار صادر.
16- عبد الحق بن عطية، (2002)، المحرز الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
17- عبد الرحمن السعدي، (2000)، تفسير السعدي، بيروت لبنان - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
18- عبد الكريم الخطيب، (2005)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، بيروت لبنان - دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.
19- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، 1983، التعريفات. بيروت لبنان - دار الكتب العلمية.
20- عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، (2000)، تفسير القرآن العظيم، بيروت لبنان - دار الكتب العلمية،
21- فاضل السامرائي، (دون تاريخ)، عرض وقفة أسرار بلاغية، موقع تدارس القرآن الكريم، (تاريخ آخر زيارة: 2024/02/29)، على الرابط: https://tadars.com/tdbr/eloquence/5189
22- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، (2005)، القاموس المحيط، بيروت لبنان - مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة.
23- محمد أبوزهرة، (2007)، زهرة التفاسير، بيروت لبنان - دار الفكر العربي.
24- محمد الأمين الشنقيطي، (2022)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الرياض السعودية - دار ابن حزم.
25- محمد الطاهر بن عاشور، (1984)، التحرير والتنوير، تونس - الدار التونسية للنشر.
26- محمد العمادي، (1992)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت لبنان - دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
27- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (1999). مختار الصحاح، بيروت وصيدا لبنان - المكتبة العصرية والدار النموذجية للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة.
28- محمد بن عثيمين، (دون تاريخ)، تفسير ابن عثيمين، موقع الباحث القرآني، (تاريخ آخر زيارة: 2023/12/29)، على الرابط: https://tafsir.app/ibn-uthaymeen/26/16.

29- محمد بن عثيمين، (دون تاريخ)، فوائد قوله تعالى: يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم، موقع الفتوى، (تايخ آخر زيارة: 2024/02/28)على الرابط: https://al-fatawa.com/fatwa/57710
30- محمد رشيد القلموني، (1990)، تفسير المنار، القاهرة مصر - الهيئة العامة المصرية للكتاب.
31- ياسر أنور، (2020)، شفرات النص القرآني ودراسات أخرى، الجيزة مصر - دار أفاتار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.